



بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد و على آلـه و صحبـه أجمعـين:

أما بعد:

فإن ثورة أهل الشام المباركة قد كان لها من الفوائد والخيرات على مستقبل أمتنا وصياغة خطواته ما لو سجدنا لله رب العالمين من الآن حتى نلقى الله عز وجل لم نقدر له قدره، ولم نشكره حق شكره.

وفي مقدمة ذلك أنها فضحت على رؤوس الأشهاد من خدعونا زمانا طويلا بذرية أن اتصالهم بالنظام إنما كان لخدمة الإسلام!

فإذا بثورة المساجد في الشام تميط اللثام عن فساد طويتهم، وتنشر على رؤوس الأشهاد خبيئة نفوسهم، وهو الأمر الذي لم تنفع معه كل المحاولات اليائسة التي بذلوها لإصلاح صورتهم، وستر حقيقتهم عقب انفجار تلك الثورة المباركة في وجوههم ووجوه أسيادهم من فوقهم!

وفي هذا يحضرني قول الإمام ابن عطاء الله السكندري -رحمه الله- في إحدى حكمه العطائية حين قال: (من أسر - بتشدد الراء - سريرة ألبسه الله رداءها)، إشارة إلى أن الله عز وجل لا يمكر به أبدا، وإلى أن ما يبدو للوهلة الأولى أنه خداع لله

تعالى و عباده ما هو سوى إمهال من المولى و استدراج، وأن مكره - جل وعلا- يبطل كيد الخبائط الماكرين من خلقه، و يجعله يت弟兄 لأن لم يكن يوما، و كأن لم يغرن طفاته بالآمس!.

هذه الحقيقة الجلية التي هي إحدى أسرع مكتسبات الثورة السورية في الشام حضورا، ما تزال معالمها غير واضحة عند بعض المسلمين، لأنهم طيبون، فهم يتورعون عن الواقع في لحوم هذا الصنف الفاسد من العلماء بدعوى أنها مسمومة! غافلين عن حقيقة أن العالم بكسر اللام الذي يدخل في عموم قول الإمام ابن عساكر:

"اعلم أخي المسلم وفقني الله وإياك لطاعته" وسلك بنا سبيلاً أحبايه أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن أطلق عليهم لسانه بالثلب أي: بالعيوب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم" عن كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي إنما هو العالم الذي وقف على ثغر من ثغور الإسلام أمينا عليه، يفتديه بروحه و ماله و عياله، يذود عنه بوقته وجهه و حياته و رحائه، أما الذي سلم أمانة الثغر الإسلامي لأعداء الأمة لقاء عرض من الدنيا قليل، فأهان نفسه، وأهان علمه، وعرض أمته وإسلامها وعقيدتها وحاضرها ومستقبلها لخطر العدو الداهم الذي يتربص بها، حين تقدم إلى هذا العدو متزلفاً إليه بمفاتيح الحصون المنيعة! موجهاً إلى أبناء عقيدته الطعنة القاتلة من الخلف، ثم رضي أن يجعل من نفسه جسراً حقيراً يطؤه الأعداء للوصول إلى قلب القلعة والعرض والدار، فهذا العالم لا يدخل في عموم النص السابق، وإنما في خصوص نصوص شرعية أخرى تحذر من علماء الدنيا الذين يعيشون المال والجاه والسلطان ولو على حساب المسلمين وعقيدتهم وإسلامهم في غفلة تامة عن مقام وسطوة الديان الذي يعلم السر وأخفى، والذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها عليهم، ثم يقاضيهم عليها! نصوص شرعية تكتمل بها الصورة، وهي تتناول العلماء المفتونين الضالين غير الملزمين، من نحو قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه: "يؤتى بالرجل يوم القيمة فتندلق أقتابه، فيدور حولها كما يدور حمار الرحي، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: ألسْتَ فَلَانَا الَّذِي كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟" فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر و آتيه!

ومن نحو الحديث الصحيح الذي يقول فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "ألا ليذادن قوم عن حوضي كما يذاد البعير الصطال!"

فأقول: ألا هلم، ألا هلم وفي رواية: أمتي، أمتي ، فتقول الملائكة: لو تدرى ما بدلوا من بعدك؟ فأقول: سحقاً سحقاً، والله الذي لا إله غيره إن لم يكن الوقوف إلى جانب نظام علماني يعني طائفي نصيري إلهامي مجرم، وتسويع حربه على الإسلام، وإعطاء تلك الحرب الحاقدة صبغة المشروعية... إن لم يكن ذلك العمل الخياني تغييراً و تبدلأ لما جاء به المصطفى عليه السلام، فلا حاجة لنا في أن نبحث عن تطبيقات أخرى لهذا الحديث، لأن ما يجري على أرض الشام اليوم من محرقة، إنما يندرج تحت عنوان: (انحياز علماء السلطان في الشام لأشرس حملة صهيونية عرفتها أمّة الإسلام)!!!

فهل بعد هذا الانحياز من تبديل وتلاعب و تأويل فاسد؟

وهل يعقل هذا الانحياز السافر بعد أن عمد النظام إلى محاولات حثيثة في سبيل تغيير هويتنا الإسلامية من خلال مؤسساته التي رمى بها عقيدة شبابنا في مختلف مراحلهم بداية مما سماه: "طلائع البعث" لأطفالنا، ومروراً بما أطلق عليه: "اتحاد شباب الثورة" لشبابنا، و"الاتحاد الوطني لطلبة سوريا" لأبناء جامعتنا، وانتهاء بالكتيبة الكبرى لحزبه الماسوني الذي خدع به أمتنا يوم نسبه للعروبة ولبعث نهضة الأمة من جديد، حين سماه: "حزب البعث العربي الاشتراكي"! وإلى لقاء في انتظار الحلقة الثانية بإذنه تعالى.

كتبه خادم العلم الشريف محمد حمادة الدمشقي الميداني نزيل المدينة المنورة.

المصادر: